جامع معرة النعمان الكبير
"دراسة تاريخية وصفية"

د.وليد عبد الرحمن الاخرس•

الملخص:

تقع مدرينة معرة النعمان على بعد ٨٠ كم جنوب مدينة ، وهي على طريق حلب – حماه– دمشق. لعبت دورا مهما في أحداث التاريخ الإسلامي، وظهر ذلك من خلال معالمها وآثارها الباقية، والتي تمثل معظم العصور الإسلامية.

يعتبر الجامع الكبير إحدى هذه المعالم التي تبرز دور المدينة في العصور الاسلامية ، فقد بني بعد فتح المعرة وتم الزيادة عليه في كل عصر وخاصة مئذنته التي تعتبر توأم مئذنة جامع حلب الكبير فهي تشبهها بشكل كبير.

يضم الجامع عناصر معمارية وزخرفية وكتابات تؤرخ بنائه على مر العصور، كما تعتبر مئذنته أجمل عنصر معماري وظهر فيها إبداع المعمار المسلم وهي تشبه إلى حدا كبير مئذنة جامع حلب الكبير وكأنهما توأم.

الكلمات الدالة:

معرة النعمان؛ جامع؛ الأيوبية؛ المملوكية

• باحث ـ جامعة حلب – سورية w.alkhras1977@yahoo.com

تعتبر مدينة معرة النعمان [١] من المدن الهامة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ بلاد الشام في العصر الإسلامي لتميزها بموقعها الاستراتيجي في شمال بلاد الشام، وهي تبعد عن حلب ٨٠كم، وعن مدينة حماه ٦٠كم.

وصفها ياقوت الحموي[٢] **بقوله:** "هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه ماؤها من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين".

كما وصفها ابن جبير[٣] **بقوله:** "بلاد المعرة، وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا".

فيما وصفها ابن بطوطة[٤] **بقوله:** "إنما سميت بمعرة النعمان لأن النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام إمارته على حمص، فدفنه بالمعرة ، فعرفت به، وكان قبل ذلك تسمى ذات القصور **وقيل:** أن النعمان جبل مطل عليها سميت به، والمعرة مدينة كبيرة حسنة أكثر شجرها التين والفستق، ومنها يحمل إلى مصر والشام".

وهي حتى الوقت الحاضر تتميز بأشجار الزيتون والتين والفستق والعنب، تضم الكثير من المعالم التاريخية الإسلامية من مساجد ومدارس وخانات وحمامات وقلعة وهذا يدل على الدور الهام الذي لعبتها في التاريخ الإسلامي وما تعاقب عليها من أحداث خلال التاريخ الإسلامي.

أهم هذه المعالم: جامع المعرة الكبير وهو موضوع بحثنا، ومسجد يوشع ذي النون وعمّر على قبر زعموا أنه ليوشع ذي النون وأصبح مشهد ومسجد وجدد عمارته الملك الظاهر غياث الدين غازي ووقف عليه بالمعرة وقفاً وهو يزار ثم لما خرج الملك المعظم فخر الدين توران شاه من حبس مصر اشترى له بالمعرة أرضاً ووقفها عليه"[٥].

---

[١] كان تحديد المكانة بين المدن على درجات ثلاث وتأتي بعدها القرى هكذا صنف الجغرافيون المسلمون المدن في مصنفاتهم فهم يقولون مدينة عظمى أو عظيمة أو كبيرة أو جليلة لبيان درجتها في الاتساع وكثرة السكان، وهذه الدرجة الأولى، أما الدرجة الثانية فيصفونها بقولهم مدينة واسة أو ليست كبيرة ومنها معرة النعمان، والدرجة الثالثة يسمونها بلدة وقد يضيفون إلى الكلمة بعض الميزات مدينة صغيرة عامرة.....(انظر: شاكر مصطفى، المدن في الإسلام، ج١، ص٧٧ -٧٨).

[٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٦.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ٢٢٩.

[٤] ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٢.

[٥] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٥٧.

وتوجد مدرسة للشافعية في الطرف الجنوبي من مسجدها الجامع، وتسمى مدرسة (أبو الفوارس) بنيت سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م[٦]، وهناك خانان من العصر العثماني بنى أحدهما مراد جلبي سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٦٦م، والثاني بناه أسعد باشا العظم سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٤٨م[٧].

ويوجد بها قلعة إلا أنها دمرت وهي عبارة عن شبه قلعة الآن، ولكنها كانت عامرة في القديم وذكرها أبو الفدا[٨] في حوادث سنة ٦٣١هـ: "وفي هذه السنة استتم بناء قلعة المعرة وكان قد أشار سيف الدين علي بن أبي على الهذباني على الملك المظفر صاحب حماه ببنائها فبناها وتمت الآن، وشحنها بالرجال والسلاح.....".

كما كانت عامرة بالأسواق "ورأيت أسواق معرة النعمان وافرة العمران"[٩].

وكان للمدينة سور يحيط بها وله أبواب، ولكنه مدمر بالكامل حالياً.

تاريخ الجامع من خلال المصادر التاريخية:

فتح أبو عبيدة بن الجراح المعرة سنة ١٥هـ فأذعن إليه أهل المعرة وصالحها على ما صالح به أهل حمص[١٠]، وكان من شروط الصلح تحويل كنيستهم العظمى إلى مسجد جامع.

كان يسمى في البداية الجامع العمري نسبت الى المساجد التي بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ولكن هذا البناء طرأ عليه تغيرات كثير على مر العصور بعدما أحرقه امبرطور الروم نقفور فوكاس سنة ٣٥٧هـ/ ، ثم أحرقه الصليبيون سنة ٤٩٢هـ/ وربما تعرض للخراب في الزلازل التي خربت المعرة كلها. فبناء الجامع الحالي لم يكن أذن في عصر واحد بل حدث في أوقات مختلفة وفيه أنماط عديدة من البناء لا نمط واحد، كان مبنياً على أكمة قائمة وسط المدينة، وكان المرء يرتقي إليه من أية جهة أتاه، بثلاث عشرة درجة، ولكن توالي الخراب بسبب الحروب والغارات والزلازل، جعل المباني ركاماً. وكان الناس يكتفون بالبناء على أنقاض القديم، فجاء البناء الحادث أعلى من القديم، وبهذا السبب صار الجامع منخفضاً ينزل إليه بدرجات[١١].

---

[٦]مها يسري، معرة النعمان ودورها في عصر الحروب الصليبية، ص٧٧.
[٧]الريحاوي، العمارة الاسلامية، ص٢٣٧.
[٨]أبو الفدا، المختصر، ج٣، ص١٩٠.
[٩]ناصر خسرو، سفرنامة، ص٥٦.
[١٠]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٢٥.
[١١]عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص١١٠.

ذكر الرحالة ناصر خسرو[١٢] عند زيارته لمعرة النعمان "وقد بني مسجد الجمعة على مرتفع وسط المدينة حيث يصعدون إليه من أي جانب يريدون وذلك على ثلاثة عشرة درجة".

نلاحظ من كلام ناصر خسرو الذي زار المعرة سنة ٤٣٨هـ/ أن جامع كان مرتفع وربما لأن الكنائس البيزنطية دائما ما كانت في مكان مرتفع في المدينة، وأن وصفه بمسجد الجمعة يدل على أهميته، وأنه كان يوجد مساجد كثيرة في المدينة ولكن كان هو المسجد الجامع حيث تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين بالإضافة إلى صلاة الأوقات الخمسة.

ذكره ابن الوردي ت ٧٤٩هـ[١٣] في حوادث سنة ٣٢٣هـ: "عملت قبلة المسجد الجامع بمعرة النعمان بالرخام والفصوص والجص، عمل ذلك اخوان من دمشق اسم أحدهما(متوكل)، ولم يزل كذلك إلى أن أحرق نقفور ملك الروم الجامع المذكور وأكثر الدور بعد أن فتحها سنة سبع وخمسين وثلثمائة".

وهذا دليل أخر على أهمية الجامع وعظمته من حيث البناء والزخارف منذ القرون الاسلامية الاولى.

أما وصف محمد سليم الجندي ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م للجامع فكان وصف إلى درجة كبيرة يتطابق مع وضعه الحاضر **فقال:** "وفي المعرة مساجد كثيرة من أشهرها وأعظمها: المسجد الجامع الكبير، وهو وسط المدينة من الشمال والجنوب، وفي طرفها من جهة الشرق، وهوالفاصل بين المحلة الشمالية والقبلية من هذه الجهة وفي شماليه أرض خالية من العمران يسمونها حيراً، وهو وقف له، وكان غربيه متصلاً بالسوق....."[١٤].

أوقاف الجامع:

يوجد أوقاف كثيرة لهذا الجامع منذ تأسيسه، بعض هذه الأوقاف نهبت وبعضها اندثر نتيجة الحروب التي تعرضت لها المدينة وخاصة الدمار الذي تعرضت لها أثناء احتلال الصليبين سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م[١٥] وقتل جميع سكانها وتدمير وحرق المدينة، ومابقي جرى التعدي عليه في العصر الحديث قبل أن تشرف وزارة الأوقاف على جميع الأوقاف المتبقية.

---

[١٢]ناصر خسرو، سفرنامة، ص٥٦.
[١٣] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٢٥٩.
[١٤]الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.
[١٥]ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٣٨٦.

أما هذه الاوقاف التي وصلتنا من المصادر التاريخية القريبة فهي:

٨٢ دكان في المعرة، ٢٦ دار، ١٧ كرم، ٣٤ أرض، ٤ أراضي مغروسة زيتوناً، ٥٥ أحكار، ٣٠٠ جفنة كرم في كفرقلا وهي مزرعة في كفر روما، نصف بيت في كفر روما، ربع الجب في صفة الحاكورة، نصف حاكورة العوسجية، والآن معظم هذه الأوقاف منهوبة[١٦].

مخطط الجامع:

يتكون الجامع من حرمين جنوبي (القبلية) وشمالي (الحجازية)، وللجامع أربعة أبواب، باب من جهة الغرب وهو أعظم هذه الأبواب، وباب من جهة الشرق، وباب في الجدار الجنوبي للحرم باتجاه السوق ، وباب في الزاوية الشمالية الغربية إلى الشرق من المئذنة، وللجامع صحن خالي من الأروقة. يوجد فيه المزولة والميضأة ومصلى صيفي لصلاة الفجر والعشاء، وبئران لتجميع مياه الأمطار، والمئذنة تقع في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع، بالإضافة بعض الغرف التي أقيمت حديثاً في زوايا الصحن الجنوبية الغربية والشمالية الغربية والزواية الشمالية الشرقية، وأحدثت مراحيض (حمامات)حديثة خارج الجامع في الجهة الشمالية الشرقية، يوجد غرف بنيت حديثاً في الجهة الجنوبية والغربية من الصحن على يمين الداخل من الباب الغربي، وغرفة على يسار الداخل من الباب الشرقي.

أبواب الجامع:

كان للجامع أربعة أبواب باب من جهة الغرب وباب من الشرق وباب من الجنوب وباب من الشمال وهذا ما عبر عنه ناصر خسرو[١٧] عندما زار المعرة سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م.

لكن مع توسع الجامع على مر العصور وخاصة في العصر المملوكي حيث توسع الحرم الجنوبي وبني الحرم الشمالي (الحجازية) فقد سد الباب من الجهة الشمالية.وبقي الباب الغربي وهو أعظم هذه الأبواب وينزل منه إلى صحن الجامع بست عشرة درجة بعد أن كان يصعد إليه بثلاث عشرة درجة كما ذكرنا سابقاً.

أما الباب الشرقي فهو مع مستوى الأرض وسبب ذلك عدم وجود مباني في القديم من هذه الجهة وانحدار أرض المعرة من الغرب إلى الشرق، وعلى يمين الداخل من هذا الباب جدار توجد فيه آثار تدل على أن هذا الجامع كان مركز عبادة منذ القديم ففي الجدار آثار رومانية ورأس ثور بارزان جداً وقرص شمس وأحرف يونانية وكلها تدل على أنه كان في الأصل معبداً وثنياً، ولقد تحول إلى كاتدرائية في

---

[١٦] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٥١، ٣٥٢.
[١٧]ناصر خسرو، سفرنامة، ص٥٦.

العصر البيزنطي يقوم سقفها على أعمدة اسطوانية ذات تيجان كورانثية تحملها قواعد كبيرة مايزال بعضها يحمل أحرف يونانية..... [١٨]

أما الباب الجنوبي فكان في الجدار الجنوبي للقبلية ويوصل إلى السوق ولكنه أغلق[١٩].

فتح باب في الجهة الشمالية الغربية شرق المنارة مباشرة وتم فتحه في منتصف القرن ١٣هـ/١٩م[٢٠].

الصحن:

يتوسط الجامع صحن مكشوف خالي من الأروقة يقع بين الحرم الجنوبي والحرم الشمالي وبين الباب الغربي من الغرب والباب الشرقي من الشرق، ويضم عناصر معمارية مهمة: المزولة، الميضأة، مصلى أمام الحرم الشمالي وبئران لتجميع مياه الامطار، أرضية هذا الصحن مبلطة بالحجارة.

الحرم الجنوبي "القبلية":

هذا الحرم الجنوبي كما هو في شكله الحالي بني في العصر المملوكي هو والحرم الشمالي (الحجازية).

طول هذا الحرم من الشرق إلى الغرب حوالي ٥٨م، وعرضه من الجنوب إلى الشمال ١١،٥٦م وهو أعظم وأوسع من الحرم الشمالي، فيه محراب ومنبر قديم من الخشب، وله ثمانية أبواب مطلة على صحن الجامع وست نوافذ فوق هذه الأبواب، السقف عبارة عن عقد مصلب يستند على دعائم وسطية مربعة وأنصاف أعمدة ملتصقة بالجدران، وتنتظم ست قباب حجرية مدببة الشكل بصفين وسط السقف الذي أقيم في العهد المملوكي، وزينت نوافذ الجدار الجنوبي بشبك حجري وزخرفت بأشكال سداسية جميلة جداً بإستثناء نافذتين لهما شبك من الحديد المزخرف بنقوش وكتابات عربية جميلة نافرة تتألف من سطرين:

"حمل لرسم جامع المعرة المعمور.

عمل الحاج عمر الريحاني عفا الله عنه"[٢١]:

يوجد كتابة عربية نافرة مؤلفة من ثلاثة عشر سطراً تقع في الجدار الجنوبي للقبلية إلى الشرق من المحراب يرقى تاريخها إلى سنة ٧٧٥هـ. وهذا هو نصها:

---

[١٨]وليد قنباز، معرة النعمان، ص٤٢.
[١٩]الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٣١.
[٢٠]الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٣١.
[٢١]وليد قنباز، معرة النعمان، ص٤١.

١-بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله الآمر بالعدل والإحسان، الناظر بعين الرحمة إلى كل إنسان، الموفق للعمل الصالح من اختار.
٢-وشرف سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأظهر مناره، وبعد فلما جدد كان مولانا ملك الأمراء المقر السيفي (أرغون) زين الأشرفي كافل.
٣-المملكة الحموية أعز الله أنصاره وجعل الإحسان شعاره إلى المعرة المعمورة التي أضحت من كفالته مغمورة وجد الجامع وأوقافه.
٤-الآلي للديون طالع بأمره للأبواب الشريفة طالب مرضاة العزيز الغفور أن أوقافه يؤخذ منها لأنارته النقود بالكامل.
٥-ولم يفضل منه مايقوم بمصالحه ولم يغفل ذلك من هو للخير عامل فبرز المرسوم الشريف بكل فصل منيف وأقر رسمه بالأمر الشريف العالي المولوي.
٦-السلطان الأشرف الناصر لازال يلحظ بمصالح بيوت الله فتغدو عامرة مراحة الأعذار ويحفظ مقام جهاتها من بين بر سعيها فلا ...
٧-على الاستمرار ويجنح إلى إقامة شعائر الدين الحنيف باستيصال منطقي بعمارته بتمام التعرف بجمعها وجماعتها له الجناج أن يصرف من ريع وارد الجامع.
٨-المعمور بالمعرة تامة بحدوث من العمارة ويصرف بعد ذلك ما يحتاج إليه من الفرش والتنوير من أجر الخطيب والمؤذن والقومة ومن
٩-يكون في درجتهم ممن يقوم بعمارة كاملة ومهما فضل بعد ذلك يصرف لأرباب النفوذ من الأمراء والجند والمستنفرين برسم
١٠-الوقف المذكور بينهم بالسوية فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ويعمل بحسبه ومقتضاه من (غرة)
١١-عنه ولا خروج به ما عبره بعد الخط الشريف اعلاه أن شاء الله تعالى كتب في تاسع عشرين شوال سنة خمسة وسبعين وسبع ماية
١٢-فلذلك رسم بالأمر العالي السيفي المشار إليه أن ينقر على الحجر ليخلد إلى يوم المحشر انتصاراً وعدلاً لا
١٣-يرد عنه كلما أذن مؤذن وكبر خطيب وخطب على منبر والله تعالى يلهم ولاية الأمور باستدارته أو بقائل يعتبره من تحجمه وزارة[٢٢].

هذه الكتابة تعتمد على السجع لذلك تبدو أحياناً غير مفهومة، وتدل هذه الكتابة على تاريخ تجديد وتوسيع الحرم الجنوبي في العصر المملوكي.

[٢٢]الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٣؛ عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، عدد١٩، ص١١٢،١١١.

الحرم الشمالي "الحجازية":

يقع هذا الحرم شمال صحن الجامع وفيه تقام صلاة الجماعة في الشتاء، لأنه أكثر دفئاً من الحرم القبلي، وأصغر حجماً، وفيه عدة أحجار منحوتة تمثل زخارف نباتية وهندسية تتموضع في الجدار الغربي ممايلي المدخل الغربي نفسه، ويظهر أن الأحجار كانت مستخدمة في بناء سابق، ويتصل هذا الحرم من جهة الغرب بباب المسجد الشمالي ومدخله إلى صحنه، وفي سقف هذا الباب والمدخل غرفة تصل بين منارة المسجد والحجازية ، يصعد إليها من الدرج الدي يصعد منه إلى المنارة وفي هذا المدخل عن يمين الداخل غرفة صغيرة تحت المنارة من الطرف الجنوبي[٢٣].

كان يتصل به من جهة الشرق رواق عظيم في صدره غرفتان يقيم فيهما الفقراء من مهاجرة الغرب والهند والعجم وغيرهم ممن يمر بالمعرة فقيراً، وباب الغرفتين يتجه إلى القبلة (الجنوب) ويتصل بهما غرفة أخرى بابها باتجاه الغرب، وكان يقيم فيهما متولي وقف الجامع وجابيه، ثم ضم جميع الرواق والغرفتين إلى الحجازية ، وجعل فيها محل للوضوء، وفتح لها باب إلى جهة الجنوب من جهة الغرب في سنة ١٣١٢هـ فما بعدها إلى سنة ١٣٤٧هـ[٢٤].

يوجد في جنوبي الحجازية من الشرق باب صغير، فيه غرفة كانوا يضعون فيها الدابة التي يخرج عليها الماء من ركية (بئر) الجامع، وتصب في خزان يسيل منه إلى المراحيض(الحمامات) والمسجد، وهذه الغرفة شمالي المراحيض إلى الغرب[٢٥].

يوجد نص كتابي في الواجهة الجنوبية للحجازية المطلة على الصحن مؤلفة من ثلاثة أسطر يعود تاريخها إلى سنة ٨٨٦هـ، ونصها كمايلي "١- لما كانت بتاريخ الستة أشهر. ٢- سنة ستة وثمانين وثمانمائة برز المرسوم....." [٢٦].

مصلى صحن الجامع:

يقع في صحن الجامع تقام فيه صلاة الفجر والعشاء جماعة في فصل الصيف[٢٧]

يقع هذا المصلى أمام الحرم الشمالي ويرتفع عن أرضية صحن الجامع الأصلية بمقدار ذراع، في وسطه من الجنوب شبه محراب وهو بعرض أربعة أمتار ويمتد من الغرب إلى الشرق[٢٨]

---

[٢٣] وليد قنباز، معرة النعمان، ٤٢.
[٢٤] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٥.
[٢٥] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٦.
[٢٦] عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص١١٢.
[٢٧] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٦.

المزولة:

تقع هذه المزولة في صحن الجامع غرب الميضأة وهي بناء سداسي الشكل ويعرف بها وقت صلاة الظهر والعصر. وتقوم على ستة أعمدة أسطوانية بقبة مدببة وهي لاتحمل أي زخارف معمارية.

يعتقد أن هذه المزولة من بقايا الجامع العمري (القديم) أي الذي بني بعد فتح المدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٢٩]

الميضأة

تقع هذه الميضأة في وسط صحن الجامع الى الشرق من المزولة، تقوم هذه الميضأة على عشرة أعمدة فوقها قبة نصف كروية، وهي عبارة عن حوض مائي مقام عليه أنصاف أعمدة اسطوانية الشكل تعلوها تيجان كورنثية مزخرفة ترتبط مع بعضها البعض من الأعلى بعوارض حجرية، تعلوها أيضا أنصاف قناطر دائرية الشكل يرتفع عليه "أرشتراف"مزخرف بورق الأكانتس ويلاحظ التأثر الكلاسيكي في هذه الزخارف، ونظرة على هذا البناء يلاحظ اعتماد عناصر معمارية نقلت من مواقع أثرية كالتيجان المزخرفة والأرشتراف[٣٠].

هذه الحجارة نقلت من مباني قديمة تعود للعصر البيزنطي وبنيت فيها هذه الميضأة، وتتجلى براعة المعمار المسلم بتركيب هذه العناصر بطريقة جميلة ومتناسقة تبدو وكأنها نقلت كتلة واحدة ووضعت في صحن الجامع.

القباب

يوجد فوق الحرم الجنوبي ست قباب عبارة عن صفين كل صف ثلاث قباب متجاورة.

شكلت هذه القباب مع المئذنة المربعة بخطوطها المستقيمة عنصران معماريان مختلفان في الهيئة تمازجا جميلا وتوازن بين الخطوط وشكلا وحدة جمالية يرتاح إليها النظر. كما أخذت القبة دوراً هاماً في تتويج وإتمام سقف المسجد الذي بدت مساحات طويلة من سقفه كأنها مقطوعة نتيجة لتطاول جدرانه واتساع مساحته[٣١].

---

[٢٨]الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٦.

[٢٩]وليد قنباز، معرة النعمان، ص٤٢.

[٣٠]وليد قنباز، معرة النعمان، ص٤١ ؛ عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص١١٣.

[٣١]فؤاد فياض خضرة، المآذن المربعة، م٤، ص٢٨.

بنيت هذه القباب من الحجر لذلك تعتبر قباب حجرية، أنشأت في العصر المملوكي، وتقوم هذه القباب على أقواس مدببة نصف دائرية، واستخدمت المثلثات الكروية للانتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري، ويوجد في رقبة هذه القباب شبابيك للتهوية والإنارة.

المنبر والمحراب

كانت القبلية تضم منبراً ومحراباً من الرخام ومزين بالفصوص والجص حتى منتصف القرن الرابع الهجري قبل أن يحرق امبراطور الروم نقفور فوكاس الجامع سنة ٣٥٧هـ، وهذا ذكره ابن الوردي[٣٢] في حوادث سنة ٣٢٣هـ: "عملت قبلة المسجد الجامع بمعرة النعمان بالرخام والفصوص والجص، عمل ذلك اخوان من دمشق اسم أحدهما(متوكل)، ولم يزل كذلك إلى أن أحرق نقفور ملك الروم الجامع المذكور وأكثر الدور بعد أن فتحها سنة سبع وخمسين وثلثمائة".

عندما تم تجديد وتوسيع الحرمين الجنوبي والشمالي فقد عمل منبر ومحراب يلاق بالجامع وحجم التجديدات لكن المصادر لم تذكر شيء مفصل عنهما.

أما الآن فالمنبر والمحراب مصنوعان من الخشب.

المنارة "المئذنة"

تقع هذه المئذنة في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع، وهي في غاية الجمال والروعة لما تحملها من عناصر فنية وزخرفية غاية في الجمال.

تعتبر هذه المنارة المربعة أجمل أثر عمراني أبقاه الزمان في المعرة وأنفس ذخيرة حفظتها الأيام لتكون مثلا يدل على مبلغ الفن العمراني في ذلك العهد وهي والحق يقال بديعة الرواء محكمة البناء لا تدانيها في أحكام الصنع ودقة الوضع إلا منارة الجامع الكبير في مدينة حلب[٣٣].

بنيت هذه المئذنة في العصر الايوبي سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م في عهد المنصور ناصر الدين محمد الأول ملك حماه من أسرة شاهنشاه بن أيوب عم صلاح الدين وعليها كتابة تؤرخ بناءها وتذكر اسم المعمار وهي جيدة البناء شبيهة بهندستها وزخارفها بمئذنة الجامع الكبير في حلب، وهي مربعة الشكل بالغة الارتفاع[٣٤].

تنقسم هذه المئذنة إلى ثمانية أبراج متساوية في الطول والعرض، ارتفاع كل واحد منها نحو ٣،٨٥م وأحد هذه الأبراج مدفون معظمه في الأرض، وفي كل برج

---

[٣٢]ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٢٥٩.
[٣٣]عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص١١٠ -١١٢.
[٣٤]الريحاوي، العمارة الاسلامية، ص١٤٥.

أربع نوافذ من جهاته الأربع، متساوية في الشكل والحجم، ومخالفة لنوافذ الأبراج الأخرى، وفي أعلاها حلفق (دروابزين) من حجارة كبيرة يحيط بأطرافها الأربعة، وهو بديع الشكل، دقيق الصنعة، مثقب على نمط متشابه أنيق، وفي الوسط غرفة صغيرة كانت توضع فيها المصابيح التي توقد في شهر رمضان والأيام المباركة ... وفوق الحلفق قبة قائمة على أربعة أعمدة وفي أطراف المنارة من جهاته الأربع حجارة بارزة على قدر متساو كالخطوط العريضة من أدناها إلى أعلاها، ويقسم كل برج عن الآخر بمثل هذه الحجارة.... وفي المنارة كتابة تشير إلى تاريخ بنائها على يد قاهر بن على بن قانت[٣٥].

كتب على قوس الشباك في جهتها الشرقية هذه الجملة: "صنعه قاهر بن قانت رحمه الله" وقد بنى هذا الرجل المدرسة الشافعية سنة ٥٧٥هـ/، فيكون بناء المنارة في ذلك العهد[٣٦].

يوجد مثل هذه الكتابة في البرج الثاني من جهة الغرب، في أعلى المنارة من الجهة الشمالية الغربية حجر داخل المنارة، نقش عليه كلمات منها: "الحمد الله رب العالمين أما بعد فقد وضع هذه الشبكة المعلم إبراهيم"، وفي الطرف القبلي أمام هذه الكتابة نقش هذه الكلمات: "جدد هذه الشبكة العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج خليل ابن الحاج محمد النطار عفا الله عنه وعن المؤمنين"[٣٧].

تأثرت هذه المئذنة نتيجة الحرب الدائرة في سورية منذ ٢٠١١م، فقد تعرضت أطرافها إلى بعض ا لطلقات النارية وفي الأعلى أيضا دمر جزء من الدروابزين وجزء من القبة التي في الأعلى.

---

[٣٥] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٧-٣٤٨؛ وليد قنباز، معرة النعمان، ص٤٤؛ عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص١١٤.

[٣٦] الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج١، ص٣٤٨.

[٣٧] المرجع السابق، ج١، ص٣٤٩.

النتائج:

تميزت مدينة المعرة بموقعها الوسط بين مدن الشام وهذا الموقع أعطاه غنى حضاري على المستوى الثقافي والعمراني.

بني الجامع على مراحل مختلفة منذ فتح المدينة سنة ١٥هـ وحتى نهاية العصر المملوكي.

حدثت إضافات على الجامع مثل بناء غرف حديثة أثرت على رونق وجمالية الجامع.

يوجد في الحرم الجنوبي لهذا الجامع تقريباً أكبر كتابة عربية نافرة، وأيضا وجود هذه الكتابة داخل الحرم نادر الحدوث في المباني الإسلامية.

تعرض هذا الجامع للكثير من الخراب والدمار لذلك كانت التجديدات مستمرة فيه على مر العصور.

تعتبر مئذنة هذا الجامع آية في الجمال لما تحويه من عناصر هندسية وزخرفية جميلة جداً تدل على إبداع المعمار المسلم.

كانت أوقاف هذا غني ولكنها تعرضت للدمار والنهب على مر تاريخ هذا الجامع.

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر العربية:

١- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تح خيري سعيد، ١٠ أجزاء، المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠٤م.

٢- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحلة، دار صادر ، بيروت د.ت.

٤- ابن شداد (عز الدين محمد ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، دومنيك سورديل، جزآن، دمشق ١٩٥٣م.

٥- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١-١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، تح محمد زينهم عزب، ٤ أجزاء، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨م.

٦- محمد سليم الجندي، تاريخ معرة النعمان، تح عمر رضا كحالة، ٣ أجزاء، ط٢، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٤م.

٧- تاصر خسرو علوي، سفر نامة، ت يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

٨- الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢م.

٩- ابن الوردي (زين الدين عمر بن المظفر ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، جزآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.

١٠- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢١م)، معجم البلدان،٥ مجلدات، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م.

- المراجع العربية:

١- شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني"إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها"، جزآن، ط٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٧م.

٢- عبد القادر ريحاوي، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩م.

- المراجع المعربة:

- ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريني، ٣ أجزاء، دار الثقافة ، بيروت١٩٨١م.

- المجلات والدوريات:

١- عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، مج ١٩، مجلة الحوليات الأثرية السورية، سورية ١٩٦٩م.

٢- فؤاد فياض خضرة، المآذن المربعة: هويتها ، تأثرها وتأثيرها، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م٤، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود ١٩٩١م.

٣- وليد قنباز، معرة النعمان مدينة المعري، مجلة الفيصل، عدد٤٦، الرياض ١٩٨١م.

الرسائل العلمية:

١- عبد الرزاق القصير، مآذن حلب الباقية من العصر المملوكي وحتى نهاية العصر العثماني، ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠١٣م.

٢- مها يسري محمد، معرة النعمان ودورها في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٧- ١٢٩١م/ ٤٩٠ -٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ١٩٩٨م.

- **الشبكة الدولية للمعلومات**
- **مديرية سياحة ادلب**
- **images.search.yahoo.com**
- **https://www.facebook.com** صفحة جامع الكبير في معرة النعمان

- المراجع الأجنبية:

1- Hertzefeld, Materioux pour un corpus inscriptionnaun arabicarum et monuments D,Alep, 1954.

الأشكال واللوحات

- **اولا الأشكال:**

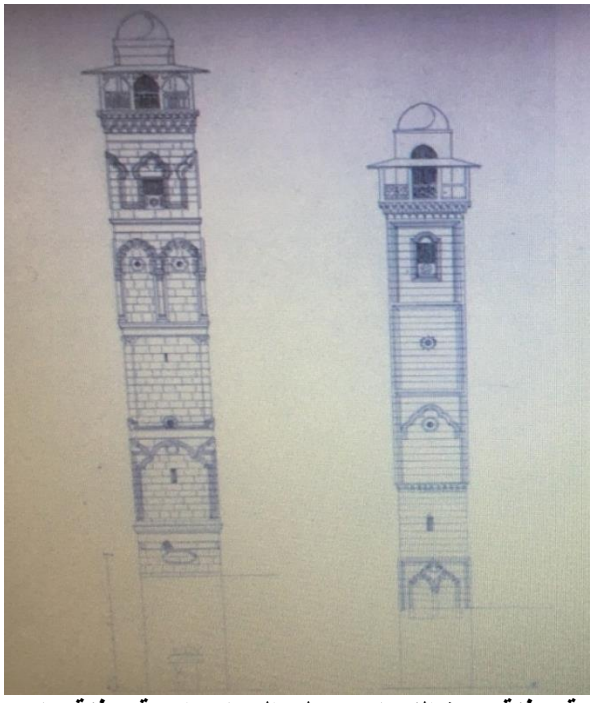

على اليمين واجهة مئذنة معرة النعمان، وعلى اليسار واجهة مئذنة جامع حلب الكبير، عن
Hertzefeld, op, cit ,v1, p70

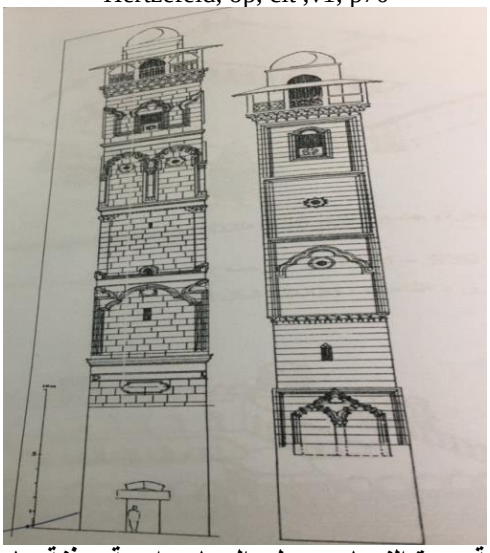

على اليمين واجهة مئذنة معرة النعمان، وعلى اليسار واجهة مئذنة جامع حلب الكبير، عن عبد الرزاق القصير، مآذن حلب الباقية،ج٢، ص١٤٨.

ثانيا اللوحات

مئذنة جامع المعرة الكبير، مديرية سياحة ادلب

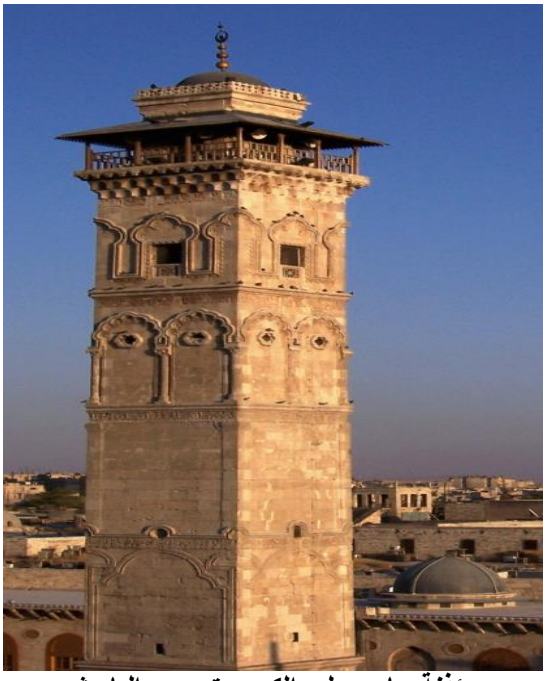

مئذنة جامع حلب الكبير، تصوير الباحث

الميضأة والمزولة والباب الشرقي، جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

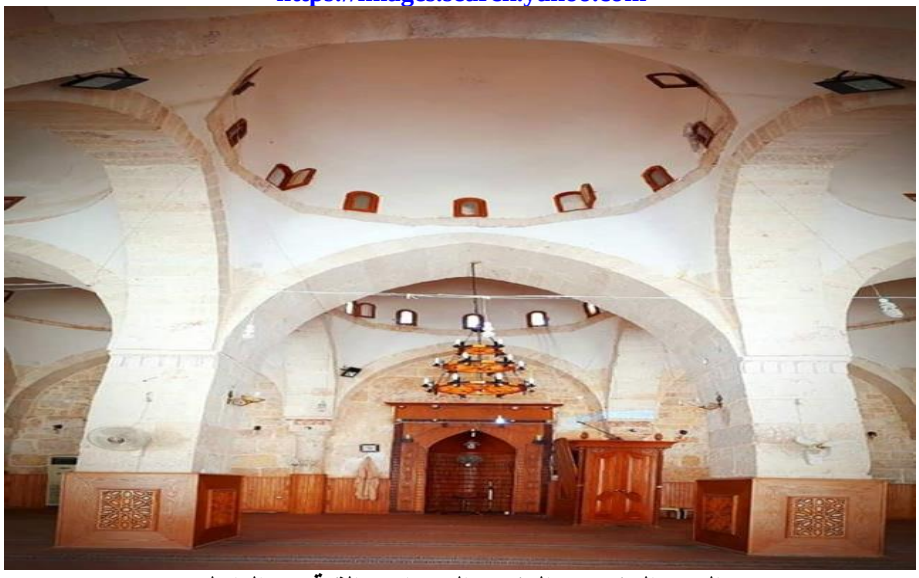

الحرم الجنوبي والمنبر والمحراب والقبة من الداخل
موقع مديرية السياحة ادلب

الحرم الجنوبي من الداخل جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

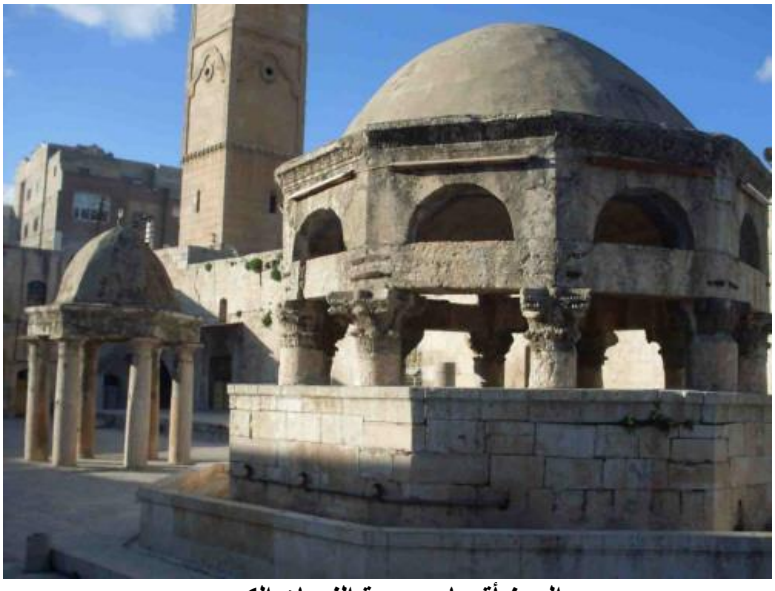

الميضأة جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

مئذنة جامع المعرة، جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

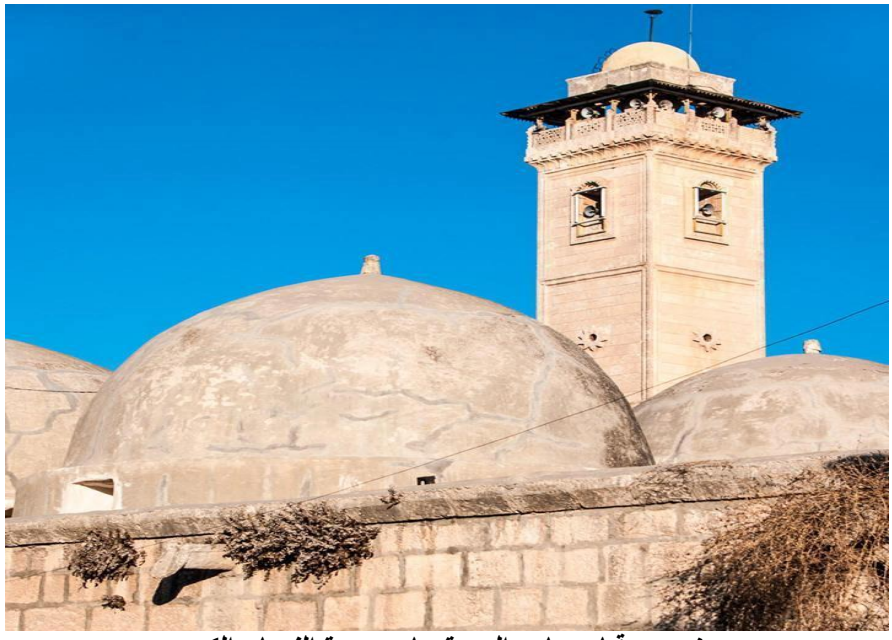

جزء من قباب جامع المعرة جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

منظر عام لجامع المعرة الكبي جامع معرة النعمان الكبير ر
https://images.search.yahoo.com

المزولة والميضأة جامع معرة النعمان الكبير
https://images.search.yahoo.com

جزء العلوي من المئذنة المدمر صفحة جامع الكبير في معرة النعمان
https://www.facebook.com

الأضرار التي تعرضت لها المئذنة صفحة الجامع الكبير في المعرة
https://www.facebook.com

Mosque of Maarat al Nu'man –al - Kabeer
"A descriptive historical study"

Dr.Walid Abdulrahman Alakhras•

Abstract:

Madreenah Maarat al-Nu'man is located 80 km south of Madinah, on the Aleppo-Hama-Damascus road. Played an important role in the events of Islamic history, and this was shown through its features and remaining effects, which represent most of the Islamic ages.

The Great Mosque is one of these landmarks that highlight the role of the city in the Islamic times. It was built after the opening of the Ma'arah and was enlarged in every era, especially its minaret, which is considered the twin of the minaret of the Great Mosque of Aleppo.

The mosque has architectural and decorative elements and writings that date to its construction throughout the ages. Its minaret is considered to be the most beautiful architectural element in which the creativity of the Muslim architecture is very similar to the minaret of the Great Mosque of Aleppo.

Keywords:

Maarat al Nu'man, Mosque, Ayyubid, Mamluk.

• **Researcher - Aleppo University – Syria** w.alkhras1977@yahoo.com